

تقرير

عن بعثة معهد فؤاد الأول للصحراء الى شمال سيناء

(١٥ اغسطس - ٩ سبتمبر ١٩٥١)

للدكتور محمد السيد غلاب

نظم معهد فؤاد الاول للصحراء بعثة لدراسة شمال سيناء ، حشد فيها نخبة من رجال العلم بالجامعات المصرية والمصالح والوزارات التي يعينها أمر تعمير سيناء ، والواقع أن الغرض من البعثة كان أكاديميا بحثا ، ومن رأينا أن الروح العلمية الاكاديمية البعثة هي خير مههد للوصول الى أى غرض عمراني أو شعبي فيما بعد .

كانت البعثة بقيادة سكرتير عام المعهد ، الاستاذ الدكتور محمد متولى أستاذ الجغرافيا بجامعة فؤاد الاول وكان يعاونه في قيادة الرحلة المتر مرى مستشار مصلحة المساحة المصرية ، وكان أعضاء البعثة يشتملون على أربعة جيولوجيين ، وجغرافى طبيعى ، وثلاثة نباتيين ، وأستاذ في علم الحيوان ، وأستاذ في علم الاراضى (التربة) واخصائين من وزارة الزراعة ، وأستاذ في علم الحشرات (البعوض بصفة خاصة) وجغرافى بشرى وقد لحق بهم فيما بعد اخصائى في الهيدروليكا وهو أستاذ ومهندس من السويد ، هذا غير المساعدين في علم الحيوان وعلم الحشرات ومصور .

وكانت تقط البحث تشمل بحثا جيولوجيا تفصيلا لبعض مناطق شمال سيناء ، وهى المناطق المحيطة ببيئر الحسنه ، وجبل الحلال . وبحث امكانيات المياه الباطنة ودراسة الكثبان الرملية ووسائل تثبيتها ، وبحث طبيعة الاراضى وأنواع التربة وتوزيعها على خريطة ودراسة نباتات المنطقة من ناحية التصنيف لاتمام كتاب « نبات مصر » الذى يقوم بوضعه عضوان

في البعثة ، وهما استاذة في النبات بجامعة القاهرة وأخصائى من وزارة الزراعة ، ودراسة النبات من ناحية علاقته بالتربة ، وطرق استصلاح الاراضى الجافة واستثمارها . وجمع أنواع الزواحف والثدييات الصحراوية لتكملة مجموعة تحف المعهد . وتحليل مياه الآبار والينابيع لمعرفة مقدار صلاحيتها للرى . وعلاقة ذلك بانتشار الامراض التى تنقلها الحشرات ولا سيما الملاريا ، وأخيرا دراسة أنواع النشاط البشرى ومقدار تلاؤم الانسان مع البيئة ؛ والعلاقات بين البدو والحضر ، وتوزيع القبائل البدوية ودراسة عاداتها وتقاليدها ودراسة مشاكل الجغرافية الاجتماعية فى العريش وما حولها .

هذه الدراسات الطبيعية والبشرية يكمل بعضها بعضا ، ويتصل بعضها ببعض الآخر ، بل ويتداخل بعضها فى البعض ، ولعل المعهد الذى يجمع شتات الدراسات المتصلة بالصحراء . قد قصد الى جمع هذا العدد من رجال العلم فى مختلف انشروع فى صعيد واحد . لدراسة منطقة واحدة ؛ من وجهات نظر متنوعة . لكى يستعين كل بكل ؛ ويطلع على وجهة نظره وعلى أسلوب بحثه . ولكى يقف كل على ما يكمل دراسته مما يقوم به فرع آخر من العلوم . ولذلك فان هذه التجربة تعتبر فى نظرنا ناجحة بالرغم من أنها الاولى من نوعها فى مصر . وبالرغم من نشوء بعض عقبات أو تصادم رغبات بعض الاعضاء مع البعض الآخر - الامر الذى لامندوحة منه فى مثل هذه البعثات فبالرغم من كل شىء فاننا نشعر أن الاعضاء جميعا كانوا مرتاحين فى هذا المجتمع العلمى الصغير الذى جمعهم فترة من الزمن . ونأمل أن يظهر أثر ذلك فى الابحاث التى ستنتشر عن نتائج أبحاثهم المختلفة .

بدأت البعثة من ميدان الاوبرا فى القاهرة ، اذ اجتمع الاعضاء فى الصباح الباكر يوم ١٥ ٨ ٥١ واستقلوا السيارات (وكان عددها ست) فى تمام الساعة الخامسة والنصف صباحا ميمين نحو الاسماعيلية حيث وصلوها الساعة التاسعة والنصف ؛ وفى تمام الحادية عشرة بدأوا المرحلة الثانية من الرحلة من الضفة الشرقية لقناة السويس ؛ فى طريق مرصوف

يبلغ طوله ٢٥٠ كيلو مترا ، متجها نحو الشمال الشرقى ، في سهل موج يرتفع وينخفض ، تغطيه الاحراش القصيرة المتناثرة ولا يكاد يسكنه انسان ، ثم ارتفع الطريق فوق هضبة مترامية الاطراف ثم أخذ يتجه تدريجيا الى السهل الشمالى ، الذى تقطعه الغرود والكثبان التى تتجه بصفة عامة من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ، ثم قطع انتظام السهل جبل المغارة فى الشمال ، ثم جبل لبنى ، والجبل الاول يشغل منطقة أوسع ، وأكبر ارتفاعا من الثانى . بعد جبل لبنى (عند الكيلو ١٠٠ من العريش تقريبا) وصلنا الى أول نقطة من نقط الحدود ، التى تدل على وجود العمران ، وهى نقطة أبو عويقله وهى تقع على الضفة اليمنى لوادى العريش على بعد ٤٥ كيلو مترا من العريش ، وشاهدنا أول آثار التخريب التى أحدثها الجيش اليهودى داخل الحدود المصرية فى الحرب الاخيرة وهى نصف كوبرى مقام على هذا الوادى ، ونصف مقر النقطة القديمة . كما شاهدنا حطام دبابه صهيونية كانت قد اجترأت على تدنيس أرض هذا الوطن .

ابتداء من عويقله تبدأ معسكرات الجيش المصرى ونقط المراقبة حتى تشرف على العريش نفسها التى كانت تحرسها مقابر الشهداء على يمين الداخل الى الطريق المؤدى اليها مباشرة ، ويحمى العريش جسر يمتد من الشمال الى الجنوب عند مصبى وادى العريش ، الذى يفيض فترة محدودة فى الشتاء عقب سقوط الامطار .

وصلنا العريش فى تمام الرابعة والنصف مساء ، وكانت هذه المدينة عاصمة محافظة سيناء - مقر البعثة الذى بدأ منها نشاطها وتأوى اليها مع المساء .

فى صباح يوم ١٦/٨/٥١ اتجه الاعضاء الى الساحل الشمالى نحو رفح ثم عبر الحدود المصرية الى مدينة غزة ، مارين بخان يونس ، وقد ظهر لنا

الفرق الشاسع بين شمال سينا وجنوب فلسطين من ناحية استثمار الارض، فمنذ أن نخطو وراء الحدود الفلسطينية يتغير المنظر العام ، من صحراء مجدبة ومراعى متناثرة الى حدائق مسورة تروى بماكينات المياه الجوفية وتؤتى ثمرها من أنواع الفواكه والمواالح المختلفة حدائق يتلو بعضها بعضا، بينها حقول الشعير والقمح حتى نصل الى غزة . ولعل في هذه الجولة الاستكشافية ، ما يثير في الاعضاء الرغبة الصادقة في تحويل شمال سينا الى ما يشبه جنوب فلسطين . حقا هناك ظرف مناخى يجعل المقارنة غير كاملة ، وهى أن غزة تقع شمال خط ١٠٠ مم من المطر في العام ، الا أن هذه الكمية لا تكفى قط لرى البساتين التى تعتمد على المياه الباطنية ، وما نظن أن الماء الباطنى ينقص الساحل الشمالى لسينا ، أو أنه يقل جودة عن مياه جنوب فلسطين الباطنية .

منذ اليوم الثالث بدأ كل فريق يعمل فى نطاق بحثه الخاص ، على أن السيارات انقسمت الى قسمين ، كل اثنتين مع مجموعة من البعثة ، واحدة بدأت بدراسة الساحل الشمالى دراسة منظمة ، بحيث تقسمه الى أجزاء ، تقطع فى كل يوم جزءا بعينه . ومجموعة أخرى كانت تعمل فى القطاع الجنوبى .

الا أن الافراد جميعا اشتركوا فى زيارة معالم العمران فى شمال سينا ، وتشمل مشروع سد الروافعة ، ومنطقة وادى الضيقه ويزمق اقامة سد عنده يغزى السد الاول . ومزارع وزارة الزراعة عند الروافعة وفى رفح ومزارع الاهلين الاخرى وهى ملكية مبعثرة . ويحسن أن نشير الى هذه المعالم بشىء من التفصيل .

سد الروافعة :

كان الاتراك أول من فكر فى اقامة هذا السد على وادى العريش ، فى نقطة تبعد ٥٤ كيلو مترا من مصبه ، وذلك أثناء حملتهم المشهورة فى الحرب العالمية الاولى ، ويبلغ طول السد ٥٠ مترا على قاعدة من الحجر الجيرى

ويبلغ عمق الماء في قاعه ٣ أمتار ويمكن تخزين ٤ مليون متر مكعب من الماء فيه ، وقد بدىء في انشائه سنة ١٩٤٧ وهو يمتلىء بالماء بعد كل ميل ، (آخر ميل كان في مارس سنة ١٩٥١) وقد قدر حدوث فيضان كبير مرة كل سبع سنوات وعندئذ يمتلىء بالماء أمام السد حتى حافظه ويمكن خزن ٢٤ مليون مترا مكعبا من الماء .

الا أن السيل يجرف أمامه كمية هائلة من الطين والطينى مما قلل كمية الماء المخزون أمامه من ٥ مليون مترا مكعبا الى ٣ مليون مترا مكعبا ولذلك فانه يخشى أن يأتى اليوم الذى يمتلىء فيه السد بالطين والطينى وتنعدم فائدته مالم يظهر الطينى من أمامه باستمرار .

يخرج من أمام السد ترعتان لرى ٣٠٠ فدان ربا دائما من الجانبين ، ولما كان مستوى الارض أعلى من مستوى الماء المخزون في السد (وعمقه لا يزيد على ٣ أمتار) فان الامر يتطلب رفع الماء الى الترعتين بواسطة المضخات .

مشروع سد الضيقة :

يقع وادى الضيقة - وهو جزء من وادى العريش - جنوب الروافعه بمقدار ٢٥ كيلو مترا تقريبا وهو وادى أخدودى بين جبلى ضلفم والحلال من الشرق والغرب على التوالي ، ويبلغ عرض الوادى ٥٠ مترا تقريبا ويرتفع انجبلان حوالى ٣٠٠ مترا على الجانبين ويعطى الوادى طبقات سيكه من الطين والطينى (بلغ عمق الطين ٣٥ مترا في احدى الحفر دون أن يبلغ اليه مستوى الرمل أو الصخر الجبرى) .

مشروع سد الضيقة يبلغ ارتفاعه ٢٠ مترا ويمتلىء بالماء أمامه حتى خط كتور ١٨٠ مترا وستكون مقدرته على الخزن حتى طاقة ١٦٠ مليون مترا وفى هذه الحالة يستعمل سد الروافعة كمنظم للخزان الاول .
والمأمول أن يستطيع هذا المشروع رى نصف مليون فدان من التربة الرملية التى لا يتقصبها غير الماء لكى تجود بأجود المحاصيل .

زيارة بعض الحدائق والمزارع :

قام أفراد البعثة مجتمعين بزيارة بعض المزارع والحدائق في منطقة العريش ، والاستغلال الزراعي في هذه المنطقة يختلف في طبيعته ووسائله عنه في وادي النيل فليس هناك مساحات واسعة متصلة قابلة للاستغلال كما هي الحال في وادي النيل ، انما الوحدة الزراعية هنا هي البقعة الصغيرة التي تتراوح مساحتها من بضعة قراريط الى عشراتها وقد لا ترقى الى الافدنة وذلك طبقا لنوع التربة وتوفر الماء الباطني (الآبار) ونستطيع أن نقول أن التربة الرملية المختلطة بالرواسب السيلية هي السائدة في معظم شمال سيناء ، ويمكن أن تعتبر جيدة اذا توفر ماء الري ، والماء هنا مستخرج من الآبار . ويختلف العمق الذي لا بد أن تحفر اليه الآبار للوصول الى ماء « الفَجْرَة » أي مستوى الماء الباطني وهو يختلف عن المستوى السطحي الذي تتسرب اليه أمطار المطر . وهذا المستوى يتراوح بين ٢٠ متر و ١٥ متر على الساحل .

والمحاصيل كلها من التي تتحمل الجفاف ، وهي من الاشجار التي تزرع مرة وتسكت في الارض سنوات تغل ثمرتها ، وتوجد في العريش اشجار الزيتون وأشجار الناكهة مثل التفاح والكمثرى .

وتقدر القطعة التي يمكن أن تستغل في جرف وادي العريش التي يصل عمق الماء الباطني فيها ١٥ مترا ، بحوالي ربع مليون فدان . لم يستغل منها في الوقت الحاضر سوى خمسين فدانا . ويبدو أن هذا التقدير مبالغ فيه ، ولكن المسألة هي الى أي حد يمكن الاكثار من حفر الآبار دون أن يؤثر ذلك في مستوى الماء الباطني ؟ فهذه نقطة تحتاج الى بحث وعلى ضوءها يمكن تقدير المساحة التي يمكن أن تستغل من جرف وادي العريش .

وقد زرنا أيضا بعض المزارع النموذجية لوزارة الزراعة في هذه المنطقة ، وهي جميعا تدل على أن أشجار الزيتون والكروم والتين والكمثرى والتفاح والقول الموداني توجد في هذه المنطقة ولا أمل طبعاً في المحاصيل

السنوية . وتمتد هذه المزارع السودجية المزارعين من الاهالى بالاشجار
التي تستعمل لحماية المزارع من الرياح والتي تساعد على كثرة الظل في
المزرعة كما تمدهم بالمعونة والارشاد الفنى .

القصيمة والحسنة :

زار أفراد البعثة على دفعتين كلا من القصيمة والحسنة ، وهما من نقط
العرمان القليلة في قسم سيناء الوسطى . وكانت كل قافلة مكونة من ثلاث
سيارات قامت من العريش في الصباح الباكر وتزود أفرادها بما يلزمهم من
غذاء وشراب وغطاء ، لمدة ثلاثة أيام ، أما الغذاء فكان من الانواع الجافة
أو التي تحفظ في علب ، وأما الماء فقد ملأنا الزمريات وتزودنا بكمية كبيرة
من البطيخ الذي يوجد نوعه في شمال سيناء بصفة خاصة وقد أثبت أنه أفضل
ما يروى الغليل في الصحراء وأضمن ما يمكن أن يؤكل وبه كمية كبيرة من
السوائل . والطريق من العريش الى القصيمة تبلغ حوالى ٨٠ كيلو مترا
منها ٤٠ أو أكثر في طريق معبد ولكنه غير مفروش بالاسفلت وقد كانت
مناظر الصخور جميلة رائعة متغيرة باستمرار جبال ووديان وخنادق
وكتبان رملية ومساحات تغطيها الصخور التي تنقلها السيول ومساحات من
الحصى والحصباء ، وتلال جيرية وأخرى طباشيرية ، فكانت كأنها كتاب
من الجيومورفولوجيا - مفتوح عن فصل التعرية في البلاد الجافة لمن
يعرف قراءته ، وكنا نتبع في ذلك طريق الملاحظة المباشرة والتصوير من
مواقع مختلفة لظواهر ظواهر السطح المختلفة ومعرفة ميل الطبقات
وتابعها واتجاه الشيات المحدبه والمقره وامتدادها ، ولاسيما في منطقة
الضيقة التي زرناها فيما بعد زيارة خاصة .

أما القصيمة فهي قرية صغيرة لا يزيد عدد منازلها عن عشرين منزلا من
ذات الطابق الواحد وبها مسجد صغير واستراحة حكومية كان قد بناها
الأتراك أثناء حملة مصر المشهورة في الحرب العالمية الاولى وأمامها حامية
مصرية صغيرة ، وليس في الاستراحة ما يدل على اسمها ، فهي مجرد مبنى

مخجى جميل ولكنه خال من الاثاث تماما ، حتى من الكراسى الخشبية
 فيما عدا حجرة لضابط الحامية وما ذلك الا لان البدو اتهموا فرصة
 توغل اليهود من العوجه الى القصيمة ، وهى اول مركز على الحدود المصرية
 الى ابو عويقيه ، على ابواب العريش ، فهجموا على الامتراحات
 الحكومية كلها فى شمال سينا ، فى القصيمة وأبو عويقيه والحسنة ونهبوها
 نهباً تاماً ، فهم فى الواقع لا يشعرون بأى نوع من أنواع الشعور الوطنى ،
 ولا يرتبطون بأى رابطة غير الرابطة القبلية ، فى حالة فقر مدقع لا يجدون
 ما يقيم أودعهم خصوصاً فى سنوات « المَحَل » التى يبرون بها الآن ،
 يحرقون بقع الارض المستوية أنى وجدوها فى الصحراء وينتظرون هبوط
 الامطار ، والا فلا محصول ولا غذاء ، الا ماشيتهم التى يقل عددها وتجنف
 أئداؤها بمرور سنوات المَحَل ، ولم تعرهم الحكومة المصرية أى اهتمام ،
 ولذلك لاتعجب اذا لم يشعروا نحوها بأى عاطفة ، وظهر هذا جلياً أثناء
 حرب فلسطين ، فقد كسبهم اليهود بينا خسرتهم مصر ، ولذلك فهم يكونون
 حطرا جائماً على ابواب مصر يتقلبون عليها أو يشتغلون بالجاسوسية
 لحساب اليهود فى وقت الخطر .

والقصيمة سوق للاعراب ، ومنهم قبيلة العزازية التى تعيش عبر
 الحدود الفلسطينية ، والذين يشتغلون بالجاسوسية الصهيونية ، أما الاهالى
 المستقرون فهم من أهل العريش هاجروا اليها منذ حوالى عشرين سنة
 عندما بدأ تنظيم الرى وتوزيع ماء عين الغديرات وزراعة واحتها التى تبلغ
 مساحتها ١٥٠ فدانا ، وعين الغديرات ، من العيون النادرة فى سينا ، تنبثق
 بالماء وسط تلين مرتفعين ، تكون بينهما سهل صغير منبسط اسمه وادى
 الغديرات ، وقد أمكن انشاء خزان صغير يشبه الحوض وتوزع الماء منه
 فى قنوات صغيرة من الاسمنت المسلح لا يزيد عرضها عن ٣٠ سم وأمكن
 غرس أشجار الكافور والسرو والزيتون والليمون والرمان والعنب ، هذا
 عدا بعض المحاصيل السنوية مثل الذرة ، والظاهرة الجديرة بالتسجيل أن
 أى أرض يمكن أن تزرع وهذه لا يشترط فيها سوى خلوها من الصخور

والحصى والحصباء ، وأن تكون مستوية ، مملوكة للعرايشية فهم
العنصر الفلاح والتجارى فى سينا . فهذه واحة لا يزرعها أو يهتم بها البدو
مطلقا ، بل يهبطون الى مائها ويحدقون فى قنواتها كأنما شقت بيد ساحر ،
ويزرع بعضهم الذرة ، ولكنهم يكتفون بعملية وضع البذور فى الارض ثم
الحصاد ، وقد بدأت الحشائش الطفيلية تراجم الذرة غذاءها ، ولكنهم
لا يكتفون خاطرهم باتزاعها وحرث الارض وقد جرت تلك المناقشة بينى
وبين أحد البدو

— لماذا لا تنظف الارض من الحشائش ؟

— لا أستطيع

— وهل يستطيع العرايشى ؟

— نعم هو يستطيع . أما نحن فلا !

هؤلاء هم البدو . يحرقون الزراعة ، وإذا اضطروا لشيء منها لا يبذلون
لها الا أقل عناية ممكنة ، فالبدوى دخيل على هذا الفن الراقى القديم ، ولكنه
يستطيع أن يجرب الصحراء ليالى تتلوها ليالى ، بحثا عن ناقة شردت ،
ويستطيع التعرف اليها بسهولة ، ويحفظ طرق الصحراء ودروبها كما يحفظ
علامات كف يده . عنصر يجب أن تستفيد منه مصر ، وتضمه اليها ، وخصوصا
وهناك عدو جائم على أبوابها ، والوسيلة لذلك هى رفع مستواه ، ومدده
بالشعير والقمح فى سنوات « المخل » والعمل على رفع مستوى حيوان
الرعى وتهيئة المراعى الصالحة بالطرق العلمية ، أى رفع مستوى البدوى
اقتصاديا داخل حدود بيئته الطبيعية والاجتماعية ، بهذه الوسيلة تكسبه
الى صف مصر ولا تخسره .

وقد لاحظنا أن رجال الجيش ينظرون بريية وحذر نحوهم ، بالرغم من
أنهم يستخدمون بعضهم فى أعمال المخابرات ، ولهم حق فى ذلك ، فقد
خبروهم فى حرب فلسطين ، وهم فى الوقت نفسه لا يعرفون عنهم أو عن

حقهم في حماية مصر لهم الشيء الكثير ، أى أن مصر في الواقع تطلب منهم أن يكونوا مواطنين صالحين وهم لا يشعرون بأن مصر عملت لهم شيئا في سبيل رفع مستواهم ، وهذه مسألة يجب أن تدرس بعناية .

والقصيمة أول نقطة مصرية على الحدود المصرية وهى على الطريق الذى يصل سينما بفلسطين ويمر بالعوجة ، ومثل هذا المركز الدفاعى الهام يجب تقويته عسكريا وتحسينه .

أما الحسنه . أو بير الحسنه فهى الى الجنوب الغربى من القصيمة ، والطريق اليها غير معبد ووعر والوصول اليها ليس سهلا ، وهى تقع عند بئر . المبرر الوحيد لوجود محلة في الصحراء ، ولاتتكون مباني هذه القرية الا من أربعة بيوت لعساكر الحدود واستراحة حكومية وبها بئر ترفع ماء طاحونة هواء ويفيض بالماء ولا تجد من يستخدم هذا الماء .

وقد بتنا ليلة واحدة في الحسنه ، وكان بها بعض الاعضاء الجيولوجيين يقومون بمساحة جيولوجية لهذه المنطقة . وهناك حركة كبيرة من جانب وزارة الدفاع في انشاء شبكة من الطرق المعبدة عبر صحراء شمال سيناء لكل تشمل حركات الجيوش فيها ويقضى على اقتصار هذه الحركة في طرق معيذ قليلة ومعروفة بحيث اذا سيطر العدو عليها شلت حركة الجيش المدافع .

هذا مجمل لتنقلات البعثة في شمال سيناء .

طرق البحث والعمل :

ذكرنا أن أفراد البعثة كانوا موزعين على فروع مختلفة من العلم ، وكان العرض من البعثة دراسة الاقليم من الناحيتين الطبيعية والاجتماعية . وقد سار العمل على النحو الآتى :

١ - اهتم الجيولوجيون ببحث مناطق معينة ، مثل منطقة ريسان عزيزه بالقرب من أولاد على ، على بعد ٤٥ كيلو متر تقريبا من العريش من الناحية

الجنوبية الغربية ، ومثل منطقة الحسنة ، وكان اهتمامهم برسم خرائط جيولوجية ودراسة الطبقات . أما الجغرافيا الطبيعية فكانت تهتم بطواير السطح مثل الكثبان الرملية والقباب والالتواءات والوديان الجافة ومساحات الحصاء والحصباء الى غير ذلك وكانت الطريقة هي استخدام خرائط ١ : ١٠٠٠٠٠ والبوصلة والملاحظة ورسم الاشكال التخطيطية والتصوير الفوتوغرافي .

٢ - كان أحد الاعضاء مهتما بدراسة الكثبان الرملية والماء الباطني ، وكان يأخذ عينات من رمال الكثبان لتحليلها ، وكان متصلا أيضا بهيئة الاغاثة التابعة للامم المتحدة التي كانت تتبع طريقة فيزيائية لتعرف الطبقات الحاملة للماء بقصد وضع مشروع لتعمير هذه الجهات واسكان اللاجئين الفلسطينيين فيها .

٣ - أستعين أيضا بمهندس سويدي في مشكلة المياه الباطنية ، وكانت طريقته السياحة في أرجاء الاقليم وأخذ معلومات عن عمق الماء الباطني (الفجره) أو المستوى الذي يوجد فيه الماء ، من الزراع الذين قاموا بحفر آبار ، ثم أخذ عينات من مياه الآبار المختلفة لتحليلها ومعرفة كمية الاملاح الذائبة فيها ، وبهذه المناسبة نلفت النظر الى أبحاث مشابهة قام بها الاستاذ بليك G.S.Blake وجولد شميت ، وهما كانا من الجيولوجيين الرسميين لحكومة فلسطين أيام الانتداب البريطاني ، وقد قاما بمساحة دقيقة للماء الباطني في فلسطين ، وكانت طريقتهما تنقيب الارض Boring في بقع مختلفة ودراسة الطبقات للوصول الى الطبقة الحاملة للماء وتعيين عمقها ، ثم تحليل الماء الباطني لمعرفة درجة ملوحته ، ثم رسم خرائط كنتورية للاعمق التي توجد بها مستويات الماء الباطني وقد تم نشر هذا البحث في كتاب وأطلس خاص تقوم بتوزيعه ادارة مطبوعات الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٥ . ولذلك لا أعتقد أن البعثة ستصل الى ما وصلت اليه حكومة فلسطين في مساحة الماء الباطني لشمال سيناء ، فهذا مجهود كبير يحتاج لوقت أطول مما قضته البعثة في شمال سيناء .

٤ - قام علماء التربة بمساحة منظمة دقيقة للساحل الشمالى ، من رفح الى العريش ، ثم لوادى العريش كله ، وهو وادى كبير يمتد من اواسط سينا حتى يصب شرقى العريش ، ثم لبقع مختلفة من شمال سينا . وكانت الطريقة هي الملاحظة الشخصية ومعرفة البيئة النباتية وبالتعبير الدقيق المجتمع النباتى الذى يعيش على التربة ، وأخذ عينات تربة من قطاع يحفر لهذا الغرض ورسم بروفيل للتربة فى هذه البقعة ، وكان الغرض من ذلك رسم خريطة تربة لهذا الجزء من سينا ثم تقدير قيمتها الاقتصادية فى استغلالها الزراعى . وسيتم تحليل عينات التربة فى معامل كلية الزراعة بجامعة الاسكندرية .

٥ - كان علماء النبات يتبعون زملاءهم المشتغلين بالتربة فى تنقلاتهم ، فجابوا نفس الجهات وارتادوا ذات البقع وأخذوا عينات للنباتات الطبيعية وكان غرضهم تصنيف تلك النباتات وترتيبها فى عائلات وفصائل لاكمال البحث الخاص عن « نباتات مصر » الذى تصدره كلية العلوم بجامعة القاهرة .

٦ - قام مساعدان فى علم الحشرات وعلم الحيوان بارشاد أحد الاساتذة بجمع الحشرات وتخليطها ، وتخليط الحيوانات من أنواع الزواحف بصفة خاصة - التى كان يصطادها لهم البدو وستودع تلك المجموعات من الحشرات والزواحف والجرذان والخفافيش بمعهد الصحراء

٧ - قمت بأبحاث اثنولوجية وكانت تشمل : -

أ - التعرف الى قبائل البدو المختلفة وتوزيعها الجغرافى فى شمال سينا وقد استعنت فى ذلك برجال البوليس من أهل العريش وبمشايخ العرب أنفسهم .

ب - دراسة عاداتهم ونظمهم الاجتماعية والاقتصادية ، وخاصة فيما يتعلق بالرعى والزراعة ونظام الأسرة وعلاقة الفرد بالقبيلة ، ونظام التقاضى

والدية وغيره . وكان ذلك عن طريق الإتصال الشخصى والقاء الاسئلة
والاستماع الى شكاياتهم وقصصهم .

ح - أخذ مقاييس اترولوجية للرأس والوجه والانف والقامة ،
وتعيين لون البشرة والشعر والعين وذلك حسب بطاقات لون البشرة والشعر
والعين المعترف بها والتي لاندع مجالا للحكم الشخصى الذى يختلف من
باحث الى آخر . وهذه البطاقات هامة جدا ونوصى باقتنائها فى قسم
الجغرافيا . وقد استظمت جمع ١٠٠ قياس للبدو وأهل العريش وذلك
بمساعدة أطباء المستشفى الاميرى وضباط سلاح الحدود ، فقد اتجهت
أولا الى المستشفى لهذا الغرض ، ثم الى قسم سينا الشمالى وأخيرا الى
سجن سينا الحربى .

د - لاحظت أثناء اقامتى بالعريش علاقة الادارة بالبدو ، ونظام الحكم
العرفى السائد ، ولاحظت أن الجريمة الشائعة هنا هى التهريب ، تهريب
البضائع الى فلسطين وتهريب المخدرات وخصوصا الحشيش الى مصر .

هـ - قمت بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور حسان عوض بدراسة
العريش كمدينة . وذلك بالتجول فيها عدة مرات وملاحظة تقسيمها الى
أحياء ، يسكن كل حى قبيلة خاصة ، اذ لا يزال أهل العريش مقسمين الى
قبائل ، وتوزيع الاسواق ، وملاحظة موقع المدينة القديمة وانتقال مركزها
التجارى وتوسعها وعلاقة ذلك بالبيش وانشاء السكك الحديدية وقد
أخذنا عدة صور لاجزاء مختلفة من المدينة من فوق احدى المآذن ، ثم صور
للشوارع وصور لبيوتها ذات الطابع المعمارى الخاص .

و - دراسة نشاط أهل العريش الاقتصادى وعلاقة ذلك بموقعها
الجغرافى ، وعلاقة العريش بفلسطين قبل الغزو الصهيونى وبعده .

هذه هى الخطوط الرئيسية للبحث الاجتماعى الذى قمت به ، ولا تزال
المقاييس الاترولوجية لدى تحتاج لوقت لحساب النسب المختلفة وتحليلها

توطئة للوصول الى نتائج اثنولوجية أصيلة ، ونرجو أن تسنح الفرصة
قريبا لكتابة هذا البحث .

توصيات :

١ - أرى أن يقوم قسم الجغرافيا بشراء مجموعة الصور التي أخذت
في الرحلة ، وهى صور للظواهر الطبيعية لشمال شرقى سينا ، وقد احتفظ
بأصولها معهد ذؤاد الاول للصحراء ، وهو مستعد لبيعها لمن يريد . وهذه
الصور توضح ظاهرات جيومورفولوجية لهذا الاقليم ، وهى ذات فائدة
كبيرة كوسيلة للايضاح فى محاضرات الجيومورفولوجيا ومحاضرات مصر
الطبيعية والاقتصادية .

٢ - أرى أن يستكمل قسم الجغرافيا وسائل البحث الاثروبولوجي
بشراء الآلات والمقاييس الاثروبولوجية وخصوصا :

(١) لوحات قياس لون البشرة والعين والشعر Raassenkundliche
Bestimmungs Taften

(٢) مقياس طول القامة ، وآلة معدنية لقياس الالف ، ومقياس فليز
لقياس الرأس .

٣ - مما يؤسف له أن مصر - بالرغم من عراقتها التاريخية ووفرة
الابحاث التاريخية والجغرافية عنها ، تكاد تكون مجهولة علميا من الناحية
الاثروبولوجية ، فليس عندنا مساحة اثنوبولوجية كاملة عنها ، وليست
لدى العلماء أرقام عن مقاييس اثنوبولوجية لاي جزء من مصر ، اللهم
سوى مديرية الشرقية التى قدم عنها الدكتور عمار رسالته العلمية الى جامعة
مانشستر ، فهذا اذن مجال بحث جديد يصح أن يفتح أمام طلبة الدراسات
العليا وأقترح أن تمد جامعة الاسكندرية الباحثين فى هذا الميدان بما
يلزمهم من مقاييس وآلات تصوير ، والاتفاق مع السلطات الخاصة
لتسهيل أمر سفرهم وتنقلهم واتصالهم بالاهالى واقناعهم بأخذ مقاييسهم
فى الاقليم المختصة ، وليكن ذلك على أساس اقليمى ، أى مديرية مديرية،

بترتيب جغرافي ، فهذا عمل علمي جليل اذا استطاعت الجامعة أن تساعد فيه وهو من الاعمال التي لا يستطيعها الباحث بمفرده دون معونة الهيئات والسلطات الادارية . والوسيلة لذلك هي التوجه الى المستشفيات أو المصانع أو المعاهد التي يزيد أعمار تلاميذها على ٣٠ سنة . ومن الصعب اقناع الافراد بقيمة هذا العمل أو أهميته ، الا بتدخل أفراد من جهات معينة ، مثل طبيب المستشفى أو مدير مصنع أو ناظر مدرسة .

• وهذا العمل يحتاج الى مران من جانب الباحث أو الى لباقة وصبر ومثابرة في ميدان العمل ، ثم الى حسابات وتحليل احصائي وقراءة في مكتبه ، وهو من الاعمال العلمية القليلة التي يتصل الباحث فيها بالجمهور مباشرة وتحتاج لمعاونة مالية وأدبية .

٤ - أرى أن يشترك قسم الجغرافيا بأكثر من باحث واحد في رحلات معهد فؤاد الاول للصحراء في المستقبل وأن يحاول - اذا أمكن - دعوة الباحثين في الجغرافيا من الجامعات الاخرى والقائمين بدراسات اقليمية على الطبيعة لاجزاء مختلفة من مصر ، والخروج بعلم الجغرافيا من نطاق المكتبات أو المعلومات التي تصل الينا بالواسطة ، الى حيز الحقل والوصول الى المعلومات مباشرة . فمثل هذه المعلومات - حتى اذا كانت قليلة - أفضل بكثير من معلومات كثيرة تصل الى الباحث في صفحات كتاب .

وهذه هي الوسيلة الوحيدة التي تحتل بها الجغرافيا مكانها بين العلوم في مصر . والتي نستطيع بها أن نخدم البحث الجغرافي وتقدم للعالم صورة حية جديدة لبيئاتنا الطبيعية والاجتماعية .